قانون 8 مارس 1938م وموقف جمعية العلماء المسلمين منه

The law of March 8, 1938 and the position of the Association of Muslim Scholars on it

ط د. أيوب شرقي*

Ea.chergui@univ-blida2.dz

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية، جامعة البليدة 2- لونيسي علي

أ. د. الصادق دهاش

dahaches@hotmail.com

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية، جامعة البليدة 2- لونيسي علي

تاريخ الاستلام: 2021/05/25 تاريخ القبول 2021/06/17 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص بالعربية :

أدرك الفرنسيون أن اللغة العربية هي أحد أبرز مقومات الشخصية الجزائرية، وبقاء هذه اللغة يعني بقاء الشخصية الوطنية التي تناقض حضارتهم وتعرقل أهدافهم ومشاريعهم. وقد كشفت فرنسا نيتها تجاه اللغة العربية في محاولة إزالتها وإجبار الأهالي على استعمال اللغة الفرنسية، فأصدرت جملة من القرارات والمراسيم أهمها قانون 8 مارس 1938م المسمى بقانون شوطان الذي يقضي بحظر استعمال وتعلم اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية، ومنع أي معلم من فتح أي مدرسة إلا بترخيص من السلطات بعد التزامه بجملة من الشروط التعجيزية والتي تمس بكرامة الجزائريين وهويتهم. تهدف هذه الدراسة إلى تبيان

* المؤلف المراسل

قانون شوطان وأثره على الجزائريين وموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منه. حيث خلصت الدراسة إلى أن جمعية العلماء الجزائريين رفضت القانون وتعرضت إزاء ذلك للتضييق من طرف المستعمر وغلق الكثير من مدارسها.

الكلمات المفتاحية : شوطان ، جمعية العلماء المسلمين ، قانون 8 مارس 1938

Abstract:

The French have understood that the Arabic language is one of the components of the Algerian personality, and that the survival of this language means the survival of the national character which destroys their colonial project. They therefore took a set of decisions to replace the Arabic language with the French language, the most important of which is the law of March 8, 1938 (Shoutan law), which prohibited the use and learning of the Arabic language, which was besieged by crippling conditions that shook the Algerian identity. The aim of this article is to study Shoutan's law and its impact on Algerians and the reaction of the association of Algerian Muslim scholars. This study concluded that the association of Algerian Muslim scholars did not accept this law and was subject to harassment from the French colonizer and the closure of several of these schools.

Keywords: Shoutan, Association of Muslim scholars, law of March 8, 1938**.**

مقدمة :

اتسمت سياسة فرنسا التعليمية على محو ميزات الشعب الجزائري. فقد أعلنت الحرب على اللغة العربية منذ بداية الاحتلال باعتبارها منافسة للغة الفرنسية، وأرادت تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية. وقد رسمت لسياستها التعليمية الأهداف. ووضعت لها الوسائل والأساليب الكفيلة من أجل تحقيق سياسة الفرنسة من أجل تثقيف أبناء الجزائر والنهوض بمستواهم العام، والقضاء على المقومات الشخصية الوطنية. كما سعى إلى طمس هوية الشعب الجزائري بشتى الطرق والوسائل. فقام بالاستيلاء على المراكز التعليمية والدينية من مدارس ومساجد، بالإضافة إلى اللغة العربية وذلك من خلال قانون

8 مارس 1938م. ومن هذا السياق نطرح الإشكالية الآتية: ما مضمون قانون 8 مارس 1938 وكيف كان موقف جمعية العلماء المسلمين منه؟

وما طبيعة صدور هذا القانون وما أثره على الجزائريين؟

وتكمن أهمية الموضوع في معرفة هذا القانون وأثره على الجزائر وموقف الجمعية منه.

وللإجابة على هذه التساؤلات، استخدم الباحثان المنهج التاريخي الوصفي لأنه الأنسب لطبيعة موضوع الدراسة.

أولا : الأسباب والدوافع

هبت الأمة الجزائرية بعد قرن من الاحتلال لتأخذ قسطها من الحياة العلمية الناضجة وخصوصا من الناحية الدينية، ومما لا ريب فيه أن الاحتفالات المئوية العارمة، التي أقامتها الحكومة الفرنسية كانت من بين دوافع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1].

شهدت الساحة الثقافية الجزائرية في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين ميلادي حركة فكرية وصحفية وتعليمية شملت أغلب مناطق القطر الجزائري. وبما أن جمعية العلماء قد احتضنت حركة نشر التعليم العربي، وعملت على تكوين نهضة وطنية واسعة النطاق، اعتمدت على أساس الرقي المتمثل في التعليم والتهذيب، واهتمت بإعداد الشعب بمنسوب فكري وروحي واجتماعي. خاصة عندما ارتكزت على تأسيس المدارس في أنحاء قطر الوطن المختلفة. حيث بلغ شعبها في عمالة قسنطينة 12 شعبة، وكذلك عمالة وهران. ولقد تطور هذا العمل خلال سنتين حتى وصل سنة 1938 إلى 1150 شعبة عبر كامل التراب الوطني[2].

وعلى غرار دور الجمعية ساهمت كذلك مدارس حزب الشعب وبعض الزوايا، التي كان لها دور بارز في مجال التعليم الديني الحرّ فلا تكاد تخلو منه مدينة أو قرية مثلما كان عليه الحال في منطقة زواوة مثلا إذ كان في القرية الواحدة منها ما يفوق 12 زاوية في شكل معاهد علمية[3].

كان لفتح عدد كبير من المدارس العربية الحرة، انطلاقا من الأعوام الثلاثين من القرن العشرين للميلاد، إسهام كبير في بلورة الحركة الثقافية والأدبية والفكرية في الجزائر والحفاظ على العربية فصارت في كل مدينة مدرسة عربية ولو صغيرة تستقبل أطفال الجزائريين لتعليم العربية وتذوق أدبها. فكان ابن باديس[4]، يعرض أفكار إصلاحية ويبين أهدافها على أصحاب الزوايا، ويدعوهم للوقوف جانب حركته[5].

وقد اعتنى التيار الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين بالمدارس الحرة اعتناء كبير ولهذا قال ابن باديس **"أن الحياة تبعث من المدارس أول ما تهتم به وتسعى لتحقيقه وكل ما يعرف في تأسيسها فلقد عرف في يقضه الأمة ونهضتها"**. ولهذا تفطن الاستعمار لحقيقة المدارس الحرة فنجد احد المعمرين يقول: **" إن العلماء كانوا يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر فالشعب مدارسهم عبارة على خلايا سياسية والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية."**[6]

كانت صحافة الجمعية تدعوا كل مرة إلى ضرورة إحداث التغيير والنهوض بالأوضاع الحرجة التي كان يتخبط بها المجتمع الجزائري، وحمايته من المكائد الخفية ورأت أن السبب لتحقيق ذلك لا يكون إلا بالعلم الذي به يرفع شأن الأمم ويقوي سلطانها وكما جعل حزب الشعب قضية نشر التعليم العربي من جملة اهتماماته[7] واتخذ منها سلاحا لدفع الحركة الوطنية السياسية في الجزائر إلى الإمام.[8]

أدى التعليم العربي دورا فعالا في إفشال الإستراتيجية الاستعمارية، أي أن ابن باديس بذل طاقته لتحويل المجتمع الجزائري من حالة الكسل التقليدية التي كانوا عليها[9]، وبذلك اعتبر نشاط العلماء المصلحين ثقافيا لا سياسيا[10]، ولذلك سعى الاستعمار بكل هيئاته لخنق صوت الجمعية و أصوات القائمين عليها والقضاء على نشاطاتهم[11]، كما لوحظ تزايد إيجابي للحركة التعليمية خاصة لطور الابتدائي بالنسبة لعدد التلاميذ و الأقسام لتلك الفترة.[12]

اتبع الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفقير والتجهيل تماشيا مع الأساليب الاستعمارية العامة، التي تهدف إلى تمكين الاستعمار من البقاء مدة أطول، فهو لم يكتفي بسلبه للشعب الجزائري، كل ما يملك من أراضي وأملاك وخيارات، وتركه شبه لاجئ في وطنه، فهو طبَّق أيضا اتجاها عنصريا في ميدان الثقافة الأساسية لمحاربة لغة البلاد وثقافتها القومية العربية، ونشر اللغة الفرنسية بدلا منها ومحاربة اللغة العربية والتضييق على أصحابها الراغبين في تعليمها.[13]

دعا كل من يعنيهم الأمر إلى ملازمة اليقظة والانتباه، لمراقبة جميع الاجتماعات والمحاضرات، التي تنظمها جمعية العلماء تحت زعامة ابن باديس و الطيب العقبي[14]، والعمل على إبعاد المدارس القرآنية من نشاط هذه الجمعية، أي أنها حملة دقيقة ضد العلماء.[15]

نظرا لتخوف فرنسا من وجود عملاء أجانب أصدرت قوانين لاضطهاد حرية الفكر، والتعليم في الجزائر، وحرية السفر إلى فرنسا، ففي8 مارس 1938م صدر عن حكومة شوطان[16] قراران وهما قرار ميشال الصادر في 16 فبراير 1933م وقرار رينيه الصادر في 5 أفريل 1935م اللذان يضيقان الخناق بصفة شديدة على المسلمين الجزائريين[17].

هذه المخاوف دفعتهم إلى اتخاذ الحيطة والحذر حتى لا يؤدي التعليم إلى نتائج عكسية، وإن كان أحد المسئولين قد قال مرة أن فتح مدرسة بالمنطقة آهلة بالسكان الجزائريين لا يقل شأن عن قيمة فرقة من الجيش لتهدئة البلد وتفاقم هذا الوضع حينما تحصلت الإدارة الجزائرية من الحكومة الفرنسية على أمر يقضي بتعزيز التشريع الساري المفعول في مجال تعليم الأهالي بمرسوم 8 مارس 1938م وهكذا كان تطبيق المرسوم بمثابة ضربة قاسية لعمل الإصلاحيين التعليمي، وتجلت هذه الضربة في توقيف الانتشار للحركة الإصلاحية وانحصار التعليم العربي الحر في الجزائر[18] ، كما يقول عمار طالبي" لكن التدريس لم يدم طويلا إذ سرعان ما حاك له خصوم الإصلاح ، مؤامرة حقيرة تمثلت في

العمل على إقلاعه ، ومنعه "وبذلك لم يتمكنوا من مواصلة التدريس في المدارس العربية الموجودة سلفا. [19]

ثانيا : مضمونه

لمعرفة مضمون هذا القانون، تجدر بنا الإشارة إلى أن الاحتلال العسكري للجزائر كان مصحوبا بغزو ثقافي مركز ،وموجه لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية من اجل إيجاد جيل يرى تفوق الحضارة الفرنسية على حياة البداوة التي يعيشها السكان ، ويتطلب منه نفض غبار الجهل بالإقبال على التعليم الفرنسي الذي صار مطلبا شعبيا.

لهذه السياسة نوعان من الغزو الفكري الذي يعمل على توسيع الاستعمار واستمراره، لأن فرنسا بعد أن وجدت صعوبة في الاحتلال بسياسة السيف والمحراث رأت أنه من الضروري الاعتماد على التعليم لأن استعمار العقول هو الضمان الوحيد للسيطرة على الجزائر[20]، لذلك كان سعيها للقضاء على الجانب الروحي للشعب الجزائري بعد تمكنها من احتلاله ماديا[21]، واصلت فرنسا ضرب وحصار التعليم العربي الإسلامي بجملة من الإجراءات التي تحرم و تعرقل فتح المدارس بمقتضى عدد من القوانين والقرارات الجائرة [22]، ولذلك أصدر وزير المعارف الفرنسي، قانون 8 مارس 1938 ينص على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ويُمنعُ تعليمها في المدارس، وهو قانون وزاري أصدره وزير داخلية فرنسا شوطان و لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم سواء كانت حكومية فرنسية، أو شعبية حرة كمعاهد التعليم العربي الحر إلا على أساس رخصة من إدارة الاحتلال، واعتبار اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في الجزائر[23] و أدى تطبيق هذا القانون إلى تعطيل عدد كبير من معاهد التعليم العربي ، وتشريد الأطفال و تغريم المعلمين ومعاقبتهم بشتى الأساليب، وقد وضع شرطين لازمين على هذه الرخصة المذكورة. [24]

- الشرط الأول : كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية، أي أنه ذو مستوى علمي معين متحصل على شهادة تعليمية.

- الشرط الثاني: صلاحية المحل للتعليم وتوفر الشروط الصحية.

وهذا أن الشرطان باعتبارهما الظاهر أنهما ضروريان لمصلحة التعليم ومصلحة التلاميذ في نفس الوقت ولكن الاحتلال جعل منها ستار يخفي به نفسه في تحركاته نحو القضاء على هذا التعليم، الذي اتسع نطاقه وأصبح ينافس مدارس الاحتلال منافسة قوية[25]، فلما انبعث الأمة في نهضتها الدينية العلمية بعث لها هذا القرار المشئوم واخذ في تطبيقه بكل شدة وصرامة فلم يبقى أحدا، إلا وفهم القصد من بعث هذا القرار المتسلط، في هذه الظروف وما سبقها[26].

هذا ما هو إلا معاكسة تعليم الدين ولغة الدين بحيث جاء هذا القرار بتمديد منع النوادي الإسلامية، كما كان هذا القرار ضربة قاضية على التعليم الإسلامي، ولغة الإسلام [27]، والدليل على سوء نية الاحتلال اتجاه التعليم العربي الحر هو أن المعلمون عندما يتقدمون بطلب الحصول على رخصة التعليم، وبعد استيفاء كل الشروط المطلوبة من كفاءة علمية ولياقة بدنية و توفر الشروط الصحية في المدرسة فكانت طلباتهم ترفض في أغلب الأحيان بدون إبداء الأسباب لذلك فإذ باشروا في التعليم حتى لا يتعطل الأطفال عن التعليم، إن الاحتلال عندئذ يرفع في وجوههم سلاح هذا القانون، فيغلق المدرسة أو النادي أو الجامع، ويقود المعلمين إلى المحاكم بتهمة التعليم بدون رخصة. [28]

كانت معظم المدارس الوطنية تغلق بعد زمن قليل من فتحها ، ويسجن معلموها ويشرد تلامذتها و تحاكم الجمعية التي أنشأتها وكل ذلك بهدف واحد هو عرقلة التعليم العربي و تخويف المنظمات القائمة عليه ومن هنا توالت عملية تعطيل المدارس العربية الحرة سواء نهائيا أو لأجل قد يطول أو يقصر. [29]

وفي مسار تطبيقاته على سبيل المثال فقد أغلقت مدرسة دار الحديث بتلمسان*، واستهدفت النوادي الإصلاحية المتابعة قضائيا من قبل، وفق قرار 13 يناير 1938م، القاضي باشتراط الترخيص للجمعيات والنوادي القانونية لتقديم المشروبات غير كحولية لروادها ، دعما لقانون 8 مارس 1938م ذلك بغية القضاء عليها وتعطيل كل صحيفة

تصدرها جمعية العلماء باللغة العربية، باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ومنع تعليمها[30]، وكتبت البصائر تشكو من سوء نية الإدارة بإصدار قانون 8 مارس 1938م، وحالة الغفلة التي كان يعيشها الشعب في مقابل ذلك، ، فقالت : "كان شعبنا في غفلة شاملة عن مستقبل أبنائه، فكانت الحكومة في تساهل مريح مع الكتاتيب القرآنية. وجاءت جمعية العلماء فشوقت الشعب إلى ترقية حالة الكتاتيب، فأخذت جهات من الوطن الجزائري تنظم الكتاتيب المعبر عنها عندنا بالمدارس، تعبيرا نقره على سبيل التفاؤل. وهنا وجدنا من الحكومة معاملة أخرى، فأصبحت لا تسمح لنا إلا برخصة، ولا تمنح الرخصة لطالبها ولو انتظر السنين."[31]

كما تم تعطيل كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين والقرآن ولغة الدين والقران وملاحقتهم بطائل من التهديد والوعيد[32].

على هذا الأساس أجمعت معظم الكتابات التاريخية على أن قانون 8 مارس 1938م كان موجها نحو التعليم الجزائري العربي الحر وحده. ولم يشمل التعليم الفرنسي الذي تقوم به الهيئات الفرنسية في الجزائر. كما لم يشمل التعليم الذي يقوم بتشييد المعابد اليهودية، التي يمارسها فئة معينة من المعمرين. بل كانت لهم الحرية المطلقة في ممارسة الشعائر لكلتا الديانتين وإعطائهم كامل الصلاحية لنشاطاتهم. كما لهم الحق في فتح المدارس والمعابد والكنائس، في أي جهة من جهات القطر الجزائري، دون أي معارضة أو عرقلة من الاحتلال.[33]

ثالثا : أهدافه

إن الخدمات التعليمية التي قدمها المنصرون إلى أبناء الجزائر كانت تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي: تنصير الأطفال الذين تلقنهم المدارس الفرنسية، بمختلف برامجها التي طبقوها في مدارسهم[34] و التي سعوا إلى تحقيق ذلك الغرض، حيث كان هدفهم تكوين الجزائري المسلم، من أجل خدمة مصالحهم ، وحتى يسهل مخاطبتهم لأنهم كانوا يجدون صعوبة في اللغة[35]، و أما الواقع كان الاستعمار بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب

اللغة العربية والثقافة العربية كما حارب الشخصية الجزائرية حربا لا هو أداة فيها[36]، وكما عمد الفرنسيون إضافة على ذلك إلى محاولة فرنسة المحيط الخارجي للقضاء على التراب الوطني العربي الإسلامي.[37]

يمكن القول بأن الأسس التعليمية التي قامت عليها فرنسا التعليمية منذ بداية احتلالها في عام 1830م تتلخص في ثلاث أسس هي أولا الفرنسة، ثانيا التنصير، ثالثا الإدماج.

الفرنسة :حيث نعني بسياسة الفرنسة في الجزائر العمل بكل قوة ومكر خبث على صبغ الجزائر أرضا وشعبا ومدنا ومعالم تاريخية وحضارية بصبغة فرنسية خالصة الأجيال الجزائرية الصاعدة في جو محيط فرنسي شامل في التعليم والإدارة والمحيط و المحيط الاجتماعي[38] ، والهدف من ذلك القضاء على الشخصية الجزائرية بمقومتها الأساسية لإذابتها في المجتمع الأوربي، أي إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية ، حتى ينسى الجزائريون لغتهم وثقافتهم القومية ويستبدلونها بلغة وثقافة المستعمر ويمكن إجمال الخطوات العامة لسياسة الفرنسة فيما يلي :

- محاربة اللغة والثقافة العربية محاربة عنيفة.
- فرنسة التعليم في جميع مراحله.
- اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.
- تشويه تاريخ الجزائر والتشكيك في انتمائه العربي الإسلامي ووجوده
- إهمال جغرافية الجزائر و تدريسها والتركيز على جغرافية فرنسا، مع عظمتها وقوتها

من خلال تدريس مادة الجغرافيا ومحاولة غرس فكرة في أذهان الأطفال الجزائريين مفادها إن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا. حيث ركزت فرنسا سياستها التعليمية على محو السمات المميزة للشعب الجزائري. لأنهم يؤكدون على نشر اللغة الفرنسية على مستوى المستعمرات قبل أن يؤكدوا على إيمانه بسياسته. ولأنهم يعتقدون حسب رأيهم ، أنه لا يوجد في الجزائر هذه الساعة إلا كثرة مهزومة، ومائة ألف من الغزاة. لذلك لن يكون ثمة شعب حقيقي و فرنسا أخرى إلا بفعل نشر اللغة الفرنسية بشكل واسع رغم

تخوفاتها من المسار الرائد للجمعية وأهدافها التي ترمي في المدى البعيد إلى استرجاع السيادة الوطنية، وضمان الشخصية الوطنية.[39]

التنصير : حيث بذل المستعمرون في سبيله إفناء اللغة العربية، وعلى وجه التحديد، حرمان هذه اللغة من طليعة مثقفة في جميع مرافق التعليم والإدارات[40] بالإضافة إلى هذه القرارات التي تحمل في بنودها منع التعامل باللغة الغربية، كما تلح على الاهتمام باللغة الفرنسية وتهيئة الوسائل لتعليمها في المجتمع الجزائري.

القضاء على تراثها العربي الإسلامي، الذي يهدف إلى محو مقومتها العربية الإسلامية[41]، لذلك عملت الإدارة الكولونيل لتعويض عجزها على اجتثاث التعليم الأصلي أو التقليدي من الأرياف والمدن الجزائرية، باستثناء ثلاث مدارس في الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة، والهدف من ذلك هو تطوير الإطارات الضرورية لخدمة الجهاز القضائي والديني الموضوعة طيلة فترة الاحتلال حيث انخرط في هذا النظام 172 طالبا سنة 1936م، منهم 50 من قسنطينة، 42 من تلمسان و80 من مدينة الجزائر[42] وبعض العلوم المسموح بها كانت في أدنى درجاتها قليل من الحساب والرياضيات وشيء من الفلك ، وما عدا ذلك فهي غير مستحبة، أو ينظر إليها نظرة ازدراء فالسمعي المعرفي موجه بالأساس إلى العلوم الدينية وبدرجة أقل من فنون اللغة العربية ، وتعتبر ثقافة بمثل هذا النوع من المستوى المتردي[43] وقد بين حاكم مدينة قسنطينة في تقريره له " **بأن الهدف الذي تشيده الإدارة هو انتشال الشباب المسلم من الجهل و إعطاؤه بعض المعارف والمبادئ من لغتنا التي تمكنه من التكيف من عادتنا ونظمنا وللوصول إلى هذه الغاية يجب أن نخفض عدد المدارس العربية الحرة ،وإقناع الأسر الجزائرية بأن هذه المدارس تقدم تعليما خارقا" [44]**

الإدماج : ونظرا لأهمية العامل الوطني في تكوين الشخصية القومية للجزائريين والمحافظة عليها، منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائريين سواء في مدارس التعليم

الفرنسي الحكومي أو في المدارس التعليم العربي الحر، وكانت بدلا من ذلك تدرس لهم جغرافية فرنسا بتفصيل وافٍ حتى يعرف الجزائريون كل شيء عن الوطن الفرنسي ولا يعرفوا شيء عن الوطن الجزائري ، وذلك بقصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائري، والتعميق في نفوسهم الولاء إلى وطنهم فرنسا، حتى تسهل عليهم، عملية سلخهم من شخصيتهم وإدماجها في كيانها العام[45] وتشويه تاريخها في الإدارات والمحاكم والمعاهد التعليمية كما قال أجيرون "كان هدفهم خدمة القطاع التعليم الفلاحي فقط، لخدمة مصالحهم"[46].

وقد أراد منظور المدرسة الاستعمارية من هذه السياسة ضرب الشعب الجزائري في مقوماته الأساسية، و إدماجه في الثقافة الفرنسية والديانة المسيحية بطرق سلمية، فالإدماج الثقافي والفكري حسب ما ينظر إليه منظر الاستعمار يمثل نظرة الاستعلاء، والاحتقار والاستهانة للأهالي[47]، وبذلك لن تكون الجزائر كجزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي في يوم من الأيام. فقد كانت سياسة الاحتلال منذ البداية تخطط لدمج الجزائريين في فرنسا، عن طريق ربطها سياسيا وإداريا بفرنسا وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في الشخصية القومية الفرنسية. كان هدفهم من وراء ذلك هو محاربة القرآن الكريم من دخول المجتمع الجزائري، بقولهم: **"إن المسلمين إن اعتنقوا الدين المسيحي فإنهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون إخوانا لنا... عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا القيد الشبح لطبائعهم وأخلاقهم"**[48].

وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر حتى انهيار مقوم آخر من مقومات الشخصية وهو الإسلام، والعمل على اجتثاث الجزائريين من جذورهم الدينية والثقافية[49]، والقضاء على التعليم العربي التقليدي[50]، ورغم أن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر قامت على ثلاثة ركائز هي الفرنسة والتنصير والإدماج ، إلا أنها في التطبيق العلمي لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين إلا في نطاق محدود جدا.[51]

نلاحظ أن عدد الفرنسيين في الأطوار التعليمية الثلاث كان مرتفعا جدا على عكس الجزائريين الذين كان عددهم ضئيل ومتناقص، وغرض فرنسا من كل هذا تكوين طابور من الوسطاء لخدمة هيمنتها على الجزائر[52].

إن هذه القوانين جعلت الإدارة الفرنسية تحارب اللغة العربية، و إطاراتها ومعلميها، وأحكمت السيطرة على مؤسساتها ، ولذلك شكلت تطبيق ما زعمت عليه لسياسة الفرنسة سواء في المؤسسات والإدارات وفرضها في شتى المجالات الحياة العامة ولقد أصدرت مراسيم تقر بذلك وهذه القوانين هي ، مواقف، واضحة من الاستعمار والقضاء على العربية بالجزائر ، وأنه يعتبر منع تدريس اللغة العربية واضطهادها عنصريا يجب مقاومتها حتى لا تتعرب وكأنها لم تكن عربية مسلمة ، وتعتبر العربية ميتة أجنبية عن الجزائر العربية المسلمة كأنها بلاد لاتينية تقع في ركن من أركان أوروبا[53].

رابعا : موقف جمعية العلماء المسلمين من قانون 8 مارس 1938:

وفق ما ورد في جريدة البصائر التي كتبت عن هذه الحادثة، وعن هذا الظلم المسلط على العربية ورجالها في الجزائر، حيث كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في عددها الصادر بتاريخ 8 أفريل 1938م[54]: " **وقد فهمنا– والله – ما يراد بنا و إننا نعمن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا العزم على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي– بعون الله – في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا على ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا**" [55] ومن جملة كتابته التي وجه الخطاب فيها إلى الشعب الجزائري عندما كتب بعد شهر من الصدور هذا القانون قول : " **إن أعداء الأمة الجزائرية _وأعداء فرنسا أيضا _يجمعون أمرهم ويدبرون كيدهم ، فيستصدرون من الحكومة قرار وزاريا بعقوبات على التعليم ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها ليقضوا عليها، القضاء على مادة حياتها** "، وما كانت هذه إلا صرخة عارمة من أعماق الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الذي لم يهنئ له بال ويهدئ

لو غيظ إلا وأضاف قائلا: لقد فهمت الأمة من المعلمين المقصودين، أنهم معلمو القرآن والإسلام، ولغة القرآن والإسلام لأنهم الذين عرفت الأمة كلها ما يلقون من معارضة ومناهضة، وما يجدون من مقاومة ومحاكمة بينما غيرهم من معلمي اللغات والأديان، والمروجين للنصرانية في السهول والصحاري والجبال، بين أبناء وبنات الإسلام، في أمن وأمان بل في تأييد بالقوة والمال.[56]

وصف الشيخ بن باديس هذا القانون بالسم الذي أصاب الجزائر في روحها وصميم فؤادها ومهد حياتها[57] بالعقاب الرقيب وتناوله في مقال بعنوان **"يالله للإسلام والعربية في الجزائر، لكل من يعلم بدون رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن وإننا نعمل للخصوم الإسلام والعربية، أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزما، وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء، و أننا على يقين من أن العاقبة وإن طال البلاء لنا، وإن النصر سيكون حليفنا"**[58] و كتب الشيخ بن باديس أيضا تلك الفترة في جريدة الصراط السوي مقالا تحت عنوان **"بعد عشرين سنة في التعليم تسأل هل عندك رخصة".**[59]

من جهة أخرى يقول الشيخ عبد الرحمان شيبان، أنه في يوم من الأيام، حضر صلاة المغرب في جامع بجاية مع الشيخ بن باديس وبعد الصلاة وقف بن باديس، يخطب بحماسة تحرك الصفوف الجامدة متحديا للقرار الاستعماري قائلا **"إن في هذا القرار قتلا لنا لأنه يمس ديننا ولغتنا فعلى الجزائريين أن يحتجوا ضده، فمن لم يفعل فهو خائن لدينه ووطنه سواء كان عالما أو متعلما، أم إماما أم مفتيا"**[60]

أما رأي الشيخ الإبراهيمي[61]، الذي شمل موقفه لمختلف القرارات فيقول: **"وما نجهر به من تنديد بالحكومة ومعاملتها والتشهير بقوانينها وقراراتها، وفيما نصارحها به، أننا لا نرضى بهذه القوانين، لأنها مفروضة علينا فرضا في أمر يتعلق بنا وحدنا، و هويتنا ولغتنا، ولا نحترمها لأنها باطل والباطل لا يحترم، ولا نقر بها لأنها حرب**

على ديننا ولغتنا ولا نحتملها ولو أدت إلى إغلاق جميع المدارس دفعة واحدة و أننا لا نرضى إلا بالحرية الصريحة"[62]، وبخصوص التعليم العربي الحر طالب الإبراهيمي بضرورة فتح باب تعليم الجزائريين في المدارس العربية ، مع الاكتفاء فقط بالرقابة القانونية.[63]

في إطار المواجهة مع الإدارة الفرنسية ، طالبت الجمعية كل معلم مكتب قرآني أو مدرسة طلب الرخصة من الإدارة، كما دعت كل جماعة تريد تأسيس جمعية أو فتح مدرسة لتعليم الإسلام والعربية أن يكتبوها لترشيدهم إلى الوجهات القانونية اللازمة، وحركت الجمعية حملتها المناهضة لقانون 8 مارس المشئوم الرأي العام الجزائري بكل فئاته[64]، وقيامها على الاتصال بجمعيات وفئات جزائرية مختلفة، وذلك من خلال مكانة بن باديس في جمعية قدماء المحاربين وفروعها بالعملات الثلاث طالبا منهم أن يجتمعوا للاحتجاج على هذا القرار، ولا يكون الاحتجاج بالصيغة التي تختارها الجمعية بل يطلب منهم أن يعملوه بموعد اجتماعهم ليخبرهم بالكيفية التي يقع بها الاحتجاج.[65]

قامت جمعية العلماء بالدفاع عن اللغة العربية واعتبرتها لغة الشعب الجزائري ، إلا أن السلطات الفرنسية لم تحافظ على دورها كلغة رسمية و أخذت الجمعية على عاتقها مسألة اللغة العربية واعتبرتها دفاعا عن مقومات الأمة وحفاظا على شخصية الجزائري .[66]

كما دافعت الجمعية عن اللغة العربية التي هي قضية مصيرية في الجزائر خاصة بعد مرور مئة سنة من احتلال فرنسا للجزائر، كما ارتبط دفاع الجمعية عن الإسلام بدفاعها عن اللغة العربية لأنها لغة القران وهي إحدى مقومات الشخصية الجزائرية لا يمكن التفريط فيها.[67]

خاتمة :

نستنتج من خلال هذا المقال أن :

1 . قانون 8 مارس 1938م كان كالصاعقة على أصحاب التعليم العربي الحر في الجزائر وما يمثله من هيئات ومؤسسات .

2. قيام السلطات الفرنسية بوضع شروط والتزامات مجحفة في حق التعليم العربي ووجوب رخصة له .

3 . قيام فرنسا بسياسة التجهيل والتهميش في حق الجزائريين لتحقيق أهدافهم المنشودة القائمة على الفرنسة والتنصير والإدماج .

4 . محاولتهم هدم مقومات الشخصية الجزائرية وتشويه المعلم العربي الحضاري الجزائري

5 . تضامن أعضاء جمعية العلماء وصنعهم وحدة وطنية مشكلة قوة دافعة للوقوف ضد هذا العدو، وعدم الرضوخ له ولو كلفهم ذلك الجهاد لنيل شرف الاستشهاد .

6 . اتخاذ السلطات الاستعمارية إجراءات تعسفية لمنع النشاط التعليمي للجمعية، حاربت معلميها وأغلقت المدارس وجرائد الجمعية .

---

[1] عبد الحميد بن باديس : آثار عبدالحميد بن باديس : مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ص 143

[2] تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، ط4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 375.

[3] كوثر هاشم : الحياة الاجتماعية في الجزائر من خلال عملية الشهاب الجزائرية (1927 - 1931) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف جمال بمفردي ،قسم العلوم الإنسانية ،2013/، 2014ص 50.

[4] ابن باديس : هو عبد الحميد بن باديس بن المصطفى بن المكي ولد سنة 1889 من أسرة عريقة النسب ، مشهورة بالعلم والثراء في قسنطينة ، تتلمذ على يد حمدان لونيسي بجامع الزيتونة بين (1903 - 1908) ، بدأ دعوته الإصلاحية سنة 1913 أنظر محمد بهى الدين سالم : **ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير** ، ط1 ، دار الشروق ، 1999 ، ص ص 31 - 40 .

[5] السعيد بوخاوش : **مقاومة التيار الإصلاحي لسياسة الفرنسية ودورها في الحفاظ على اللغة العربية (1900 - 1954)**، دار تقليت للنشر ، 2013 ، ص 73 .

[6] طه مبروك : "الإستراتيجية التعليمية والتربوية عند ابن باديس" ، ع 20 ، يونيو 2012 ، ص 3 .

[7] نفسه

[8] رابح دبي: السياسية التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها ، إشراف الطيب بابا العربي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر ،2010/2011 ، ص 179 .

[9] . Ageron, les algerien muslman et la France(1871_1919) ,paris 2tomes,edition ,1968, p925

[10] Mahfoud kaddach:,histoire du nationalisme algerien,qustion nationale et politique algerienne(1919_1951)alger,1993 ,2tomes,edition ,p223.

[11] بوخاوش : المرجع السابق ، ص 70 .

[12] Ageron,Op,cit,p924

[13] يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية(1830 - 1954)**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 59 - 60 .

[14] الطيب العقبي : من مواليد 1889 بسيدي عقبة ، هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة سنة 1895 نشا فيها وحفظ القران الكريم وتولى رئاسة جريدة القبلة ، اعتقلته السلطات الفرنسية عند رجوعه إلى الجزائر سنة في 4 مارس 1920 كما تولى رئاسة البصائر 1935 - 1939 أنظر بسام العسيلي : **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية** ، دار النفائس ، 1983 ، ص ص 183 - 184 .

[15] سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945)** ، ج2 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ص 22

[16] **شوطان:** رجل سياسي فرنسي ولد في 1 فيفري 1885 في باريس ، عين رئيس وزراء فرنسا للمرة الأولى 21 فيفري 1930 - 25 فيفري 1930 ولم تدم حكومته سوى 4 أيام ، عين للمرة الثانية من قبل رئيس الجمهورية ألبير لوبران 26 نوفمبر 1933 - 27 جانفي 1934 دامت الحكومة شهرين والمرة الثالثة 19 جوان 1937 - 13 مارس 1938 وهي أطول مدة لحكومة شوطان دامت حوالي تسعة أشهر وفيها صدر قانون 8 مارس 1938 أنظر محمد جلال : "مصائب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام استفزازات الإدارة الفرنسية 1931 - 1940"، ع14 ، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية** ، ص 331 .

[17] نفسه ، ص ص 32 - 33 .

[18] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الاجتماعي والديني (1925 - 1940)** ، تر محمد يحياتم، ط2 ، دار الحكمة، الجزائر،2007 ، ص 415

[19] عمار طالبي : **عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره** ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص 10 .

[20] زغوان : التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931 - 1962) ، مذكرة ماجستير ، إشراف علي غنابزية ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، 2015 - 2016 ، ص 34 .

[21] جمال قنان : مرجع سابق ، ص 27 .

[22] لونيسي : مرجع سابق ، ص 19 .

[23] علي مراد : مرجع سابق ، ص340 .

[24] علي غنابزية : **دارسات في تاريخ المقاومة الثقافية في الجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية** ، ج2، مطبعة مزوار ، الوادي ، الجزائر ، 2012 .ص 32 .

[25] تركي رابح : مرجع سابق ، ص145 .

[26] آثار عبد الحميد بن باديس : مصدر سابق ، ص 145 .

[27] نفسه ، ص 145 .

[28] تركي رابح : مرجع سابق ، ص ص 70 / 71 .

[29] مصطفى شريك : **اللغة العربية، من المحنة الكولونالية إلى إشراقه الثورة التحريرية** ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2007 ، ص 474 .

*دار الحديث : تأسست سنة 1937 بتلمسان وهي من أكبر المدارس التابعة للجمعية في الغرب الجزائري . أنظر أسيا بلحسن : "وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي" ، ع7 ، ديسمبر 2001 ، ص97 .

[30] بشير بلاح : **مواقف الحركة الوطنية الإصلاحية الجزائرية ، من الثقافة الفرنسية (1925 - 1940)** ، هدية من وزارة الثقافة ، عالم المعرفة ، الجزائر ، (د س) ، ص 25 .

[31] تركي رابح : المرجع السابق ، ص 271 .

[32] محمد الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 150 .

[33] تركي رابح : مرجع سابق ، ص ص 170 - 171 .

[34] حلواش : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1 ، دار الأمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1999 ، ص 94 .

[35] Ageron,op,cit,p924

[36] تركي رابح : **التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931 - 1956)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ص93

[37] الشهاب ، ع 4 ، ط1 ، 1925 ، ص 97 .

[38] حنان قدودة ، وسيلة قدة : التعليم العربي الحر بالجزائر وعلاقته بقانون 8 مارس 1938 ـ الخلفيات والتداعيات ـ ، إشراف رضوان شافو ، مذكرة ماستر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، 2016 - 2017 ، ص 34 .

[39] أحمد الخطيب : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإثرها الإصلاحي في الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1999، ص 119 .

[40] مركز البحوث والدراسات : "التجربة الدعوية لشيخ عبد الحميد ابن باديس" ، **مجلة البيان** ، الرياض ، 1435، ص 26 .

[41] حنان قدودة ، وسيلة قدة : مرجع سابق ، ص 36 .

[42] محمد العربي ولد خليفة، **الاحتلال الاستيطاني لجزائر (1830 - 1962)** ، ط2، دار ثالة ، الجزائر ، 2008 ، ص36 .
[43] جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار**، ط6، وزارة المجاهدين ، 2009 ، ص 26
[44] أحمد توفيق المدني : **هذه الجزائر** ، مكتبة النهضة المصرية ، 2001 ، ص 22.
[45] تركي رابح : المرجع السابق ، ص 60 .
[46] Ageron.Op.cit.p92/42
[47] فرحات عباس : **ليل الاستعمار**، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة المحمدية ، قسنطينة ، ص 34 .
[48] حلوش : مرجع سابق ، ص 68 .
[49] لونيسي رابح وآخرون: **تاريخ الجزائر المعاصر** ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2001 ، ص 104 .
[50]Ali Merad, Le Réformisme Musulman en Algine De 1925 a 1940, Essai d'histoire religieuse et sociale Mouton 2 Co I imprimerie Firmin_ Didot Paris 1967, P8
[51] رابح تركي : مرجع سابق ، ص109 .
[52] ولد خليفة : **الاحتلال الاستيطاني للجزائر (1830 - 1962)**، ط2 ، دار ثالثة ، الجزائر ، 2008 ، ص ص 80 - 81 .
[53] تركي رابح : مرجع سابق ، ص ص 49- 84 .
[54] علي غنابزية : مرجع سابق ، ص 35 .
[55] **البصائر** ، ع8 ، أفريل 1937 ، ص 143 .
[56] مطبقاتي مازن: **عبد الحميد بن باديس الرباني والزعيم السياسي** ، ط1 ، دار القلم ، دمشق ، 1992 ، ص ص 100 - 101 .
[57] بشير بلاح : مرجع سابق ، ص 225 .
[58] **البصائر** ، ع 107 ، 8 أفريل 1938 ، ص 143 .
[59] تركي رابح : مرجع سابق ، ص 175 .
[60] مركز البحوث والدراسات : مرجع سابق ، ص 120 .
[61] البشير الإبراهيمي : ولد في 14 يونيو 1889 بمدينة سطيف ، في بيت أسس على التقوى وحفظ القران الكريم على يد علمه التحق بوالده إلى المدينة المنورة عام 1911 ، له عدة آثار علمية و أدبية أنظر محمد البشير الإبراهيمي : **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص ص 9 - 10 .
[62] الإبراهيمي أحمد طالب : **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ، ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص224 .
[63] نفسه ، ص224 .
[64] دبي : مرجع سابق ، 9 ص194 .
[65] مطبقاتي : مرجع سابق ، ص 101 .
[66] Mohamed harbi: La geurre commence en Algerie, edition complex berexeles 1989, p 186.
[67] محمد جلال : مرجع سابق ، ص 318 .